ضُـرب المثل فى الســـنة بجحـــر الضب..لغموضه وفســـــاده
وشره فيحرص الحيـــوان على حفـــره بطـريقة مختلفة
تخـــدع الباحـــثين عنـــه وتضللهم

حيوان الضب

عادات وصفات فسيولوجية عجيبة

د. مصطفى فايز
أستاذ الطب البيطرى
جامعة قناة السويس
www.mostafafayez.com

الناس حيال الضب فريقان لا ثالث لهما، فلا توجد جزيرة وسطى يلتقيان عليها؛ الفريق الأول حب وعشق. وولع وهيام، مع التفنن فى طهيه؛ لهذا فالضب فى أعين هؤلاء كائن وديع جميل الشكل وكائن مغذ ذو طعم جميل.

أما الفريق الثانى فلا يرى الضب إلا ديناصورًا صغيرًا، قبيح المنظر، بشع الهيئة، خشن الجلد، تتداعى معه صورة رأس الأفعى، وجلد التمساح، وشوك القنفذ، وهذا الشكل المرعب المنفر من أهم أسباب كراهية هذا الحيوان.

والضب حيوان من جنس الزواحف من رتبة العظاء، غليظ الجسم خشنه، وله ذنب عريض حرش أعقد، يكثر فى الصحارى..

جاء فى حديث أبى سعيد: «إن كان أحدنا ليهدى له الضبة، أحب إليه من أن تهدى له الدجاجة السمينة».

وجاء فى المستطرف: «الضب حيوان يجعل جحره فى الأرض الصلدة، وعنده بلاهة؛ فربما لا يهتدى لجحره إذا خرج منه؛ فلذلك لا يحفره إلا بقرب إشارة واضحة، وهو من الحيوان الذى يعمر مثله مثل السلحفاة، ومن طبعه أنه يصبر على الماء، يقال إنه لا يشرب، فإنه يبول فى كل أربعين يومًا قطرة، والأنثى تبيض بيضًا كثيرًا وتجعلها فى الأرض، وتتعاهدها فى الأرض إلى أربعين يومًا.

وهذا الحيوان شديد الخوف من الآدمى؛ ولذلك يجعل العقارب فى

يحرص الضب على أن يشاركه فى جحره عقارب وحيات..لتسانده عند الخطر لما اشتهر عنه من جبن وهلع.

جحره حتى يمتنع بها، ويخرج من حجره كليل البصر لطول لبوثه فى الظلام فيستقبل الشمس؛ فيحصل له بذلك حدة فى بصره، وإذا عطش نشق النسيم فيروى، وبينه وبين الأفاعى مناسبة، وذلك أنه لا يخرج زمن الشتاء.

وهذا النص يمثل ثقافة عصر المؤلف فى موسوعته الطريفة المستطرفة، وفيها أشياء كثيرة تتطابق مع ما نعرفه اليوم عن الضب.

بيئة الضب:

يعيش الضب فى جميع المناطق الصحراوية ذات الطبيعة الصخرية.

عن يزيد بن الأصم قال: أهدى

ليمونة -ابنة الحارث - ضب أو ضباب، فأمرت به فصنع طعامًا فأتاها رجلان من قومها، فقدمته إليهما تتحفهما به، فدخل رسول الله ﷺ فرحب بهما، ثم تناول ليأكل فقال: ما هذا؟ فقالوا ضب أهدى إلينا وكف الرجلان، فقال لهما: كلا فإنكم أهل نجد تأكلونها، وإنا أهل تهامة نعافه».

وللضب جحر يتميز بكثرة تعرجاته؛ حيث اهتدى إلى حفر الجحر بشكل حلزونى هابطًا لأسفل، وبالتالى يصعب على أعدائه إخراجه منه، كما يتعذر رؤية الضب من الخارج بسبب هذه التعرجات، التى تمثل خطًا دفاعيًا حصينًا يحمى الضب، ولا يعيش فى الجحر إلا ضب واحد؛ من أجل هذا السبب قال أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه فى عام المجاعة: «والله لوددت أن فى كل جحر ضب ضبين».

لون الضب:

يتغير لون الضب بحسب البيئة التى يعيش فيها، مثله فى ذلك مثل الحرباء، ويزيد عنها أنه يغير لونه بحسب الوقت الذى يخرج فيه، ففى وقت الظهيرة يكون أصفر اللون مثل الكركم بينما يكون مائلا إلى السواد أو يكون رماديًا داكنًا وقت الصباح ووقت العصر، بالإضافة إلى تلونه بلون الأرض التى يحيا فيها بوجه عام كسلاح زود الله به كثيرًا من مخلوقاته لتستطيع التعايش فى البيئات المليئة بالأعداء،

يقال إن الضب لا يشرب الماء. فإذا عطش يستنشق النسيم فيروى.. ولا يبول سوى قطرة واحدة كل أربعين يومًا

بما يوفره لها من إمكانات التمويه والتخفى، ويكون لون الضب جميلا عقب الربيع؛ حيث يكون لونه أصفر ضاربًا إلى الخضرة التى يكتسبها جلده من لون خضرة أعشاب الربيع، وبخاصة إذا كان سمين الجسم؛ حيث يكتنز لحمًا وشحمًا، فتخف خشونة جلده التى تدعو للذعر والاشمئزاز.

صفات فسيولوجية:

ويستطيع الضب البقاء إلى دقيقتين كاملتين بغير تنفس، ودون أن يموت، ومن الصفات التشريحية التى يجد فيها الكثيرون غرابة وجود عضوين للتذكير، طول الواحد منهما حوالى خمسة سنتيمترات، ويبدو على شكل أنبوب مجوف فى سمك عود الكبريت، له رأس يميل للسمك قرب نهايته.

ولأنثى الضب فى مقابل هذا فتحتا تأنيث.

والحق أن هذه الصفة التشريحية فى الضب يشاركه فيها كثير من الزواحف؛ فيشارك الضب

جحر الضب وكر الشر

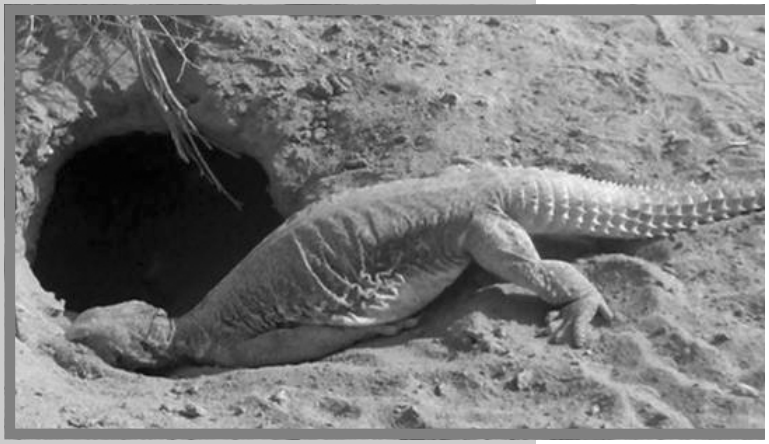

ربما يكنى بجحر الضب عن الفساد والشر، كما جاء فى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو سلكوا جحر لسلكتموه».

فجحر الضب كناية بالفعل عن الهلاك، فليس فى جحر الضب إلا العقارب، كما أنه رمز للضعف والوحشة، فالجحر لا يعيش فيه إلا ضب واحد؛ لهذا فمن أمثال العرب المحدثين قولهم: (عيال ضب) وذلك فى التفرق والشتات.

وقد بدت أمارات هذا الفساد فى تتبع المسلمين فى عاداتهم اليومية وسياساتهم الحياتية للأجانب مهما تصادمت هذه العادات مع قيم الإسلام، فالمسلمون ما عادوا إلا مقلدين حتى فى الشر، فارتدوا إمعات بعدما كانوا هامات.

فى وجود عضوين للتلقيح كل من الثعبان والحرباء.

ووضع الضب عندما يزاوج أنثاه هو نفس وضع الذكر والأنثى من بنى آدم؛ إذ تستلقى الضبة على ظهرها حين يعلوها ذكرها.

وإليك هذه الحكاية من الحكايات البدوية عن الجنس عند الضب:

فى ليلة زواجه أعطى الضب الديك عرفًا جميل المنظر كان له، على أن يستعير من الديك إحليله أيام العرس، فلما انتهت هذه الأيام السعيدة، وكان قد راق له جماع أنثاه بإحليلين على حد زعمهم، أتى إليه الديك مناديًا عليه: «يا أبا حمد رد الأمانة»، ولكن الضب تنكر، ورفض أن يعيد العارية إلى صاحبها، وهنا لم يجد الديك مفرًا من الاحتفاظ بالعرف، ومنذ ذلك الحين والديك يسافد الدجاجة بغير إحليل، إنما يذرف منيه مباشرة بقوة الضغط فحسب.

وليس الذكر كالأنثى:

غالبًا ما يكون رأس الأنثى أصغر من رأس الذكر، وإن كان يميل للعرض أكثر من الطول، وربما كان رأسها كذلك أهدأ فى حركته، كما أن عكرتها وأطرافها أيضًا تميل إلى القصر نوعًا ما، وتظهر البطن عريضة الشكل، وبخاصة إذا كانت سمينة مكونًا ببيضها. كما أن هناك ميزة فى الأنثى؛ وهى قدرتها على الخداع، فنظرة عينيها هادئة وديعة، بعكس الحدة فى عيون ذكور الضباب؛ لهذا فإن الأنثى حينما تشعر بالخطر تبدو مستكينة بغير حراك، فترمى نفسها ملتصقة بالأرض، بعيون منطفئة كأنها ميتة؛ لدرجة تخدع القريب منها؛ فيتركها وينصرف، لتجرى بعد ذلك ناجية بجلدها، بينما يكون الذكر حادًا فى نظراته، نشيطًا فى حركاته.

ماذا يأكل الضب؟:

هناك إجماع على أن الضب حيوان نظيف المطعم، فهو لا يأكل إلا الأعشاب البرية؛ كالرمث والجثجاث، وإذا أكل من الحشرات فلا يأكل إلا الجراد، وهم يرون أن هذا من أسباب لذة طعمه.

بيض الضبة:

تضع الأنثى نحو سبعين بيضة فى موسم البيض.

وتحفر حفرة للبيض فى الرمال خارج حفرة وتغطيه وتتركه، ولعله من هنا ينسب العقوق إلى الضباب، ويفقس البيض بعد أربعين يومًا، وبمجرد خروج الصغار فإنها تستغنى بأنفسها عن أمها، فتبادر على الفور -رغم صغرها وخفتها الشديدة - فتشرع فى حفر جحر لنفسها يتناسب مع حجمها الصغير.